التوبة جزء الرابع

**بسم الله الرحمن الرحیم**

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ(تحریم/۸)**

حديثنا حول التوبة في اسبوع التوبة، و هو مواصلة ایضا للحديث الذي مرة في أربع محاضرات حول التوبة و حديثنا اليوم ايضا مقتضب

التوبة لها مقامات و متعلقات و شروط و مقدمات و قد مر الحديث في ذلك ،كما تكون التوبة عن الكفر بالرجوع على الإيمان كذلك تكون عن المعاصي بالإقلاع عنها ،وكذلك تكون عن التقصير وكذلك تكون عن القصور و كذلك تكون عن الغفلة كل ذلك يمكن أن يتسم صاحبه أن يتسم بالتوبة عندما يقلع عنه او يلتفت اليه أو يبتعد عنه أو يوفق لاستبداله بما هو أفضل ،لذلك تشمل التوبة الأولياء و الصالحين ،من هنا قال الله تعالى وهو يخاطب المؤمنين "يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا" وليس الكافر فقط وإنما تشمل حتى المؤمن الذي هو مؤمن ،بل حتى أولياء الله ايضا تشملهم التوبة والإنابة والرجوع ،وهنا الأمر الإلهي للمؤمنين وليس للكافرين وهذا هو محل الحديث ،كما أن هناك آيات تبين ضرورة أن يصل المؤمن إلى درجة الخشوع والإنابة، هذه الآية تقول "يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا" و آيات اخرى ايضا تؤكد على ضرورة أن يبلغ المؤمن درجة العالية فيقول تعالى "ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله ومانزل من الحق" درجة ايضا يصل إليها المؤمن أن يكون خاشعا لله تعالى، وليس فقط مؤمنا أو فقط لا يرتكب المعاصي وانما يبلغ الدرجة العالية ،فإذا سمع بآيات الله خشع قلبه يكون كل وجوده وجميع مشاعره و أحاسيسه لله سبحانه و تعالى.

**اولا) لماذا شرع الله التوبة؟**

الجواب:

1. لأن الله سبحانه وتعالى محب لخلقه و إنما كتب عليهم الأحكام ليتكاملهم و ليس ليعذبهم الله سبحانه وتعالى خلق الخلق لكمالهم يجعلهم خلفاء في الأرض ليجعلهم المثل الاعلى ليجعلهم الخليفه الممثل لله سبحانه وتعالى في هذه الأرض ،وليس ليفرض عليهم الأحكام فيعذبهم أو يجعلهم في ضغوط وشده وإنما لاجل صلاحهم، فالله سبحانه وتعالى انما يتعامل مع الخلق كالمربى فرض عليهم أحكاما يسير منهجا يسير عليه ليستقيموا ليستفيدوا ليكونوا صالحين ،وما ذكر لهم من عذاب إنما هو لصلاحهم كما يقول تعالى لهم "من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ذلك يخوف الله به عباده يا عباد فاتقون" إنما ذكر ما يكون في جهنم ليس ليجلبهم الى جهنم وإنما ليبعدهم عن النار ليجعلهم صالحين ،"ذلك يخوف الله به عباده يا عبادي فاتقون" من اجل ان تبلغ درجة التقوى فالله سبحانه وتعالى هو المحب وهو الذي شرع الأحكام وفرض على الإنسان أن يلتزم بالاحكام، كما ان المربى للاطفال يحبهم و يفرض عليهم أمور وقد يعاقبهم من اجل ان يستقيموا لتعود الفائده عليهم ،فالله من حبه لعباده جعل لهم الطريقة للإصلاح و الرجوع والتوبة.
2. لان باب التوبه يخلق الحيوية و يجدد النشاط عند الإنسان ،بخلاف من يرى الابواب موصده وقد ختمت صحائف اعماله، الشخص الذي لو افترضنا الانسان كلما عمل من ذنب أو خطأ من صغره أو من وقت ما كلف به من الأحكام الشرعية سجلت عليه وانتهى لعاش اليأس ولم يتقدم في شيء ،ولكن لا يكون في حيوية وفعل وتحرك حتى لو انه ارتكب المعصية أو في حين ارتكابه للمعصية يجد في نفسه القرار انني استطيع الرجوع استطيع الاستقامة استطيع التصليح واصحح مابدر مني و خطا و اعوض الى غير ذلك ،الابواب مفتوحه فيعطي الإنسان حيوية ونشاط.

اذاً التوبة تخلق النشاط والحيوية عند الإنسان بخلاف ما لو فرضنا أن كل عمل سجل وانتهى.

قال الإمام الصادق سلام الله عليه: إن العبد إذا أذنب ذنبا أجله الله سبع ساعات فإن استغفر لم يكتب عليه شيء، أُخِّر شيء ارتكب الله سبحانه و تعالى يعطيه مجال يقول له تب ارجع بسرعه استغفر ،فإن استغفر لم يكتب عليه شيء وإن مضت الساعات ولم يستغفر كتبت عليه سيئة إذا لم يستغفر كتبت عليه سيئة صار صحيفة أعماله فيها سواد سجل عليه شيء ،وإن المؤمن ليذكر ذنبه بعد 20 سنة حتى يستغفر ربه فيُغفر له، وإن الكافر لينساه من ساعته، المؤمن الموفق هو الذي يذكر ذنبه فيستغفر مباشرة و اذا كان فيه صلاح الله سبحانه وتعالى يوفقه ان يتذكر اخطائه و ذنوبه و يصلحها

ذلك على الإنسان أن يصلح أخطاء قبل أن يأتي الأجل قبل أن يأتي الموت ،لا يقول هي أخطاء قديمه ،إن كانت متعلقه بالآخرين و بحقوق الناس كما مر الحديث في هذه الجوانب أن شروط التوبة الاستغفار إذا كانت هناك حقوق لاحد ان يصلحها ان يرجع الحقوق لأصحابها ،إذا كانت عليه واجبات لم يوديها يؤدي واجباته كل ذلك عليه ان يلتفت له، فلو كانت السنين مضت الاعوام و تذكر انه انه ظلم أحدا عليه أن يرجع ويصلح تلك الأخطاء ،تجاوز وأخذ من بيت أحد شيء وتذكر بعد هذه السنين عليه ان يلتفت و يصلح ولو مات صاحب البيت الذي مثلا أساء وأخذ منه شيء يرجع له واذا لم يكن موجودا يرجع للورثة، فهو ملزوم ان يصلح ما جناه و ارتكبه من ذنب ومن خطأ ومن تجاوز عن الناس وهل يكفي الاستغفار لوحده؟ لا يكفي الاستغفار كما مر الحديث مفصلا في ذلك لو استغفر فقط تجاوز عن حقوق الاخرين او على حقوق الآخرين ومن غير أن يرجعها ويصلحها فتبقى ذمته مشغولة كما في الأحاديث أنه لا جود - مضمونا- بعد الشهاده من جود، يجود المرء بكل شيء إلا بروحه فإذا استشهد في سبيل الله غفرت له جميع ذنوبه إلا الحقوق الا الديون فإن كان عليه شيء للآخرين يبقى حتى الشهادة في سبيل الله لا تكفرها، اذاً الإنسان المؤمن هو الذي يتذكر ويوفق لتصحيح اخطائه و إرجاع الحقوق لأصحابها.

1. لأن التوبة و هي رجوع لعالم الروحانيه و التأهل لنيل الخيرات بعد طهارة الروح والتخلص من تبعات المعاصي

التوبة هي رجوع الإنسان الذي لها واشتغل بالمعاصي أو اشتغل بالدنيا وبملذاتها أو بالماديات حتى من غير معاصي ،عندما يتوب الله سبحانه وتعالى جعله ينتقل الى روحه يرجع الى روحه ،وروحه هي محل الخيرات لأنها هي التي ترتبط بالملكوت و بعالم الروحانيه فيرجع إليها فيكون محلا للفيوضات والخيرات فتسمو روحه و يتكامل ،و ربما تكون في بعض الحالات بعض الذنوب سببا وطريقا للتكامل لا يجعلها طريقا يوقفه

يقول السيد الطباطبائي رحمه الله عليه: أن آدم بلغ الدرجات التي بلغها بعد المعصية وكانت المعصية سببا لنوحه وبكاءه وشده حسرته والتعلق بالله والجد والمثابرة في العمل إلى أن يتطور ويتقدم فبلغ ما بلغ من الدرجات بعد المعصية بعد المخالفه، يقول تعالى "واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود" التوبة تجعل الإنسان محلا لرحمة الله سبحانه وتعالى، ويقول تعالى "وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون" بالتوبة يكون الإنسان محلا لرحمة الله ولخيره ولتوفيقه وللفلاح.

1. تطهير القلوب بالتوبة وهو أمر ضروري ومهم

الانسان لابد ان يداوم و يلتفت لروحه باستمرار في كل وقت بين الحين و الاخر و يرجع الى قلبه ويطهر قلبه، ما هو الذي يطهر القلب؟ التوبة

كما في الحديث عن الرسول صلى الله عليه وآله: إن للقلوب صداء كصداء النحاس فاجلوها بالاستغفار

القلوب نفسها التي تبقى راكد على حال يكون فيها صداء  تتأثر ،وإذا تأثرت بالدنيا بالماديات او بالمعاصي بالانشغال عن الروحانية الاستغفار والتوبة يجلوها يطهرها يرفع عنها الصدى فتكون الروح مفعله حيوية عند الله سبحانه و تعالى في علاقتها بالله.

1. لأن التوبة منزلة ودرجة عالية التوبة شرّعها الله فهي درجة عالية، لذلك هي درجة الاولياء درجة الصالحين يتمناها الأولياء وليست التوبة فقط لأهل المعاصي كما ذكرنا درجات التوبة سابقا التوبة ليست فقط لأهل المعصيه حتى للصالحين حتى للأنبياء ،تجد الآيات تتحدث عن الأنبياء وعن الأولياء أنهم يتوبون إلى الله ويرجعون الى الله ،وهذا امامنا الامام زين العابدين سلام الله عليه يقول: وان تنقلني إلى درجة التوبة إليك

الامام زين العابدين يطلب ان يصل الى درجة التوبة لله سبحانه وتعالى

اذاً هناك درجة خاصة هي درجة التوبة مقام التوبة وليس مقام التوبة عن المعصية فقط وإنما التوبة هنا للأولياء بأن لا ينشغل و لا ينقطع إلا الله، فلا تكن هناك آثار على روحه من الآثار المادية والدنيوية ،لأن الولي من أولياء الله بطبيعة الحال انه ياكل و يشرب و يعيش حاله كحال الآخرين في جانب المادي يعيش فما يمكن أن يتأثر به أو يتعلق به من الأمور المادية يدعو ان لا يكون لها أثر ولا تشغله فيبقى منقطعا راجعا لله سبحانه وتعالى.

1. لأن التوبة تجعل التائب محلا لتجلي صفة الرحمة الربانية, الله سبحانه وتعالى رحيم بعباده يريد الرحمة بعباده أين تتجلى رحمة الله؟ تتجلى رحمة الله على العبد عندما يتوب اعلى تجل للرحمة ان تكون على التائب ارتكب معصية ثم تاب ورجع لله الله سبحانه وتعالى يفيض عليه هو نادم على خطأه، فعندما يندم من خطأه ويعود لله سبحانه وتعالى فام الله يدقق عليه بخيره وبركاته، فتتجلى صفة الرحمة و تتفعل صفة الرحمة على العبد التائب.

**ثانيا) معنى "توبوا الى الله توبة نصوحا"**

الآية تدعو وتقول " توبوا الى الله توبة نصوحا" كما فسرتها الروايات ماذا فسرت الروايات التوبة نصوحا؟

1. عدم العود للذنوب

فسرتها ان يتوب الشخص التائب توبة نصوحا الا يعود للذنوب ابدا ،اما الذي يتوب اليوم و يعود للذنب ثم يتوب ثم يعود ،فهذا يوشك أن يدركه الموت وهو على حاله

يقول السيد الطباطبائي رحمه الله:إن حسن العاقبة ليس اعتباطا، طبعا هناك أعمال كثيرة تصب في هذا المصب و لها اثر في توفيق لحسن العاقبة

من ضمنها قضى حوائج المؤمنين

كما في الحديث: إن خواتيم أعمالكم قضاء حوائج إخوانكم الإحسان إليهم ما استطعتم

هذا طريق يجعل الإنسان يوفق و يرزق حسن العاقبة ولكن حسن العاقبة ايضا مرتبط بماذا؟ مرتبط باستمرار العبد و الاستغفار استمرار على المعصية أو عدمه ،فالذي يقاوم نفسه على أن لا يرتكب المعاصي توفيقه لحسن العاقبة اقرب

الإنسان متى يدرك الموت لا يعلم، لو كان الشخص مثلا في كل يوم يأتي للمسجد في أوقات الصلوات و يذهب للمأتم ويذهب للمجالس الصالحه ويجلس فيها الموت متى يدركه في هذه الساعات فإن أدركه وهو في مسجد حسن عاقبة إن أدركه وهو في مجلس يتحدث مع المؤمنين حسن عاقبة ،أدركه في مأتم حسن عاقبة أما الذي يذهب لاماكن اللهو واللعب والخمر فيقول لم يوفق لحسن عاقبه الموت لا بد ان يدرك الانسان في وقت من الأوقات جعلت نفسك في موضوع تنال به حسن العاقبة ،أن أدرك الموت هذا حسن العاقبة وجعل نفسه ذاك البعيد في موضع الشبهات وفي موضع المعاصي فإن أدركه الموت فهذه سوء للعاقبة، فالتوبة النصوح وأن يعزم في نفسه أن لا يعود للذنب ابدا وهذا من شروط التوبة أن يعزم في نفسه أن لا يعود يكون صادقا في ذلك، يعاهد نفسه أن لا يعود للذنب ابدا ،فاذا رجع للذنب ثم تاب ثم رجع هل هنا يقول في نفسه أنه لا حاجة الاستغفار او التوبه؟ لا، كلما ارتكب خطأ عليه أن يتوجه لله ويقول تبت لله حتى لو يشعر في نفسه كما هو حال كثير من أهل المعاصي "مثلا يقول أتوب ارد ارجع اتوب ارد ارتكب المعصية استمليت من التوبة"

و اصدق قدر الامكان ان تتوب لله سبحانه و تعالى و الله سبحانه وتعالى كما في الأحاديث: ما فتحت توبة العبد إلا ليقبل له ولوفقه وما فتح الاستغفار لشخص ودعاه أن يستغفر إلا ليغفر له و ما فتح باب الدعاء إلا ليستجيب أن تستغفر وإذا ضعفت و ارتكبت الخطأ عاود و استغفر و كلما سنحت لك الفرصة استغفر وتب ،التوبة النصوح أن لا يعود للذنب ابدا

يقول الإمام الصادق في تفسير قوله "يا ايها الذين امنوا توبوا الى الله توبة نصوحا" قال: يتوب العبد من الذنب ثم لا يعود فيه، أن يصدق لا يعود ولا يعود فيه.

1. من تفسيرات التوبة النصوح الخلوص لوجه الله تبارك وتعالى، فلا يكون المحرك للإقلاع عن الذنب شيء إلا الله ،البعض مثلا ارتکب الذنب خايف يشوفونه عرف فلان ما يريد احد يشوفه بعد زين استقام على أقل تقدير لكنه ليست هي الدرجة المطلوبة ،البعض يخاف اذا ذهب ارتکب معصیه اخر یشوفنی فاترك الذنب بترک احسن لا انفضح بعد زین ولكن الدرجه الصحيحه ان يكون لله، بعد درجات ان يكون لله حتى لا يدخل النار حتى يدخل الجنة بعد توبة زين لله حتى لا يدخل النار بعد العذاب عذاب الله ما شاء الله مخيف حتى الجنه بالعذاب و احصل على النعيم جيد ،ولكن التوبة النصوح الخالصة أن تكون لله خالصة لا خوف من الجنة هذه الدرجة العالية لا خوف من النار ولا طمعا في الجنة وان ما هي لله سبحانه وتعالى، هذا التفسير أيضا من تفسيرات التوبة النصوح أن تكون لوجه الله فقط.
2. أن يكون الباطن والظاهر متطابقين متناسبين

تاب توبة صادق فيها مو داخله شيء او برا شيء يمشي و يسلم على الناس كيف احوالكم و هو یتکلم فی داخله علیهم بالسوء او انه مثلا ینوي الحرام هو یقول استغفر الله ربي و اتوب اليه، ربما البعض مثلا یقول: استغفر الله ما توفقت اسوي شيء الفلاني الحرام ما توفقت انصب على فلان، ها استغفر الله استغفر الله تكون صادق فيها في الباطن والظاهر واحد بل الحديث يقول أن يكون كما عن الإمام الصادق : التوبة النصوح أن يكون باطن الرجل كظاهره وأفضل، ربما ظاهره ليس بذلك المستوى ولكن باطنه كله تقوى باطنه كله خير يجيب الله و يحب الخير لنفسه وللآخرين.

1. أن تكون توبة العبد داعية للتأسي به ولصلاحه

توبة العبد أوقات توبه خليه يستقيم يعني التفاته والرجوع الى الله، تدعوه لعمل الصلاح داعية ناصحة تنصحه هو فيستقيم بسبب هذه التوبة يكون صالحا في نفسه ،حملته توبته وتوجهه والتفاته لله على ان يكون واعيا مستقيما في كل صغيرة وكبيرة لا يغفل شيء هذه توبة نصوح بالنسبة له داعية، و تفسير اخر داعية و ناصحه للاخرين اذا رايته ترغب ان تكون مثله بعض الناس ،مثلا كانوا تهتك في بادئ حياته بعدين اشوفهم ملازم لذكر الله صار صالح ملازم لعمل الخير ،كان يؤذي الناس في بداية حياته وشبابه بعدين اكبر صار وين في خدمة الآخرين هو قدام أراد أن يخدم الناس و يساعد الناس ،إذا رأيت ظاهره وجدته جميل لسانه فعله عفاف لسانه صالح يحب الخير إلى آخره يدعوك للتأسي والاقتداء به ،هذه التوبة النصوح بمعنى تنصح الاخرين لان يسلك هذا المسلك و طبعا جميع هذه الأمور هي مطلوب للتائب أن يكون في كل هذه الأمور التي ذكرت متفعله متحققة عند التائب.

**ثالثا) مستحبات التوبه**

اذكر عناوين اقراها فقط لأن الوقت انتهى

نقبل على شهر رمضان فجدير بنا ان نسأل انفسنا عن ذنوبنا ،فإن كانت عندنا اخطاء او لم تكن ،قلنا التوبة ليست فقط الاخطاء التوبة حتى للتقدم للصلاح امامنا زين العابدين يدعو الله ويقول: أن تنقلني إلى درجة التوبة إليك فيتوب الإنسان لله ،فنرجع لشهر رمضان و ندخل شهر رمضان وفي أنفسنا أننا تائبون لله لا ادخل و انا في نفسي انني لم اتب عن ذنب أو خطأ مر علي ابدا ذنوب عندي اخطاء اصلحتها ،لابد ان احاسب نفسي قبل شهر رمضان لادخل شهر رمضان بهذه الروحية التائبه واعمل بمستحبات التوبة

من مستحبات التوبة:

1. صيام ثلاثة أيام

و هو من ضمن ما فسرت به الروايات التوبة النصوح الرواية تقول التوبة النصوح من ضمنها أن يصوم ثلاثة أيام، كان ارتكب أخطاء يصوم ثلاثة أيام بنية التوبة فهذا مستحب.

1. غسل التوبة

أن يغتسل غسل التوبة ،فإذا اغتسل ابتعد عن الذنوب و عن المعاصي لأنها طهارة الغسل طهارة يطهر روحه ،فليعوذ نفسه المؤمن أن يغتسل التوبة في كل وقت كلما أصابته جنابة مثلا أو امرأة دورة بعد الانتهاء احتاج الى الغسل تغتسل اغتسل مثلا عن الشيء الفلاني عن الجنابة قربة إلى الله تعالى وعن التوبة، إذا كان هناك خطأ تقصير الى اخره جميع مراتب التوبة

اغتسل لله قربة إلى الله تعالى.

1. صلاة ركعتين مستحبة أيضا صلاة ركعتين حتى يدخل شهر رمضان وهو تائب و اتى بمستحبات التوبة ركعتين أو أربع ركعات بنيه التوبه.
2. تكرار الاستغفار

أن يداوم على الاستغفار. يكرر الاستغفار دائما فإنه يزيل آثار المعصية ،الآثار التي علقت بالنفس من المعاصي إذا داوم الشخص على الاستغفار فهي تجلس صدى عن القلب، القلب يصير نظيف يتنظف من الآثار التي علقت به في كل وقت، واختيار وقت الليل طبعا من أفضل الأوقات كما يقول تعالى" ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا".

والحمد لله رب العالمين